دور تحليل الخطاب القرآني في تعزيز مهارات الفهم اللغوي لدى متعلمي العربية: مقاربة تحليلية عبر المناهج الحديثة

جدة حسن محمد

Jiddah@gmail.com

جامعة محمد غني

ملخص :يسعى هذا البحث إلى مقاربة الخطاب القرآني من منظور اللسانيات المعاصرة والنقد الحديث، في محاولة لقراءة النص المقدّس ضمن أفق تحليلي يستند إلى أدوات علم اللغة وفلسفة الخطاب. إذ يُعدّ الخطاب القرآني بنية لغوية فائقة التعقيد والدقة، تستدعي قراءة متعدّدة المستويات تنفتح على اللساني، التداولي، التأويلي، والسيميائي، من دون أن تُغفل أبعاده الروحية والتشريعية. يتناول البحث تمظهرات البنية الخطابية في القرآن الكريم، من خلال تحليل نماذج مختارة، مبرزًا كيف يوظف النص آليات بلاغية ولسانية لإنتاج المعنى وترسيخ القيم، معتمدًا في ذلك على مقاربات لسانية كالتداولية وتحليل الخطاب، والنحو التوليدي، بالإضافة إلى مفاهيم نقدية حديثة مثل "السلطة الرمزية" و"التمثيل النصي". ويهدف البحث إلى إيضاح فاعلية الخطاب القرآني في تشكيل البنية المعرفية والجمالية، وكيفية تفاعله مع المتلقي ضمن سياق تاريخي ومعرفي متجدّد. كما يُبرز قدرة النص على تجاوز حدود الزمان والمكان، عبر آليات لغوية تتكئ على الإيجاز والإعجاز والتضمين. خلصت الدراسة إلى أن الخطاب القرآني ليس فقط ميدانًا للتأمل الديني، بل فضاء معرفيًا مفتوحًا لإعادة قراءة الذات والعالم، من خلال أدوات نقدية حديثة تُعيد للنص ألقه التأويلي، وتُضيء بنيته العميقة.

الكلمات المفتاحية: الخطاب القرآني، اللسانيات، النقد الحديث، التداولية

Abstract: This research aims to examine the Qur'anic discourse through the lens of modern linguistics and contemporary literary criticism. It endeavors to analyze the sacred text using analytical tools rooted in linguistic science and discourse philosophy. The Qur'anic discourse, being a complex and highly structured linguistic entity, requires a multi-layered reading that encompasses pragmatic, interpretive, and semiotic dimensions, without neglecting its spiritual and legislative aspects. The study explores the rhetorical and linguistic mechanisms within selected Qur'anic passages, highlighting how the text constructs meaning and reinforces ethical and spiritual values. It draws upon linguistic approaches such as pragmatics, discourse analysis, and generative grammar, in addition to modern critical concepts like symbolic authority and textual representation. The main objective is to uncover the dynamic interaction between the Qur'anic text and its audience, and how this interaction contributes to shaping an ongoing epistemological and aesthetic structure. The research shows the Qur'an's ability to transcend temporal and spatial constraints through a linguistic system grounded in brevity, inimitability, and layered meanings. The findings suggest that the Qur'anic discourse is not merely a spiritual reflection but a profound intellectual space that invites renewed readings of the self and the world.

Utilizing modern critical methodologies reactivates the interpretive richness of the text and reveals its deep structural intricacies.

Keywords: Qur'anic Discourse, Linguistics, Modern Criticism, Pragmatics

المقدمة

إنَّ الخطابَ القرآني، بما ينطوي عليه من إعجازٍ بيانيّ وسيمياء دلاليةٍ فائقة، ظلَّ على مرِّ العصور موضعَ تأمّلٍ وتدبّرٍ من قِبل اللغويين والنقّاد والبلاغيين. ومع تطوّر المناهج اللسانية الحديثة وتحوّلات النظريات النقدية المعاصرة، برزت الحاجة إلى مقاربة هذا النصّ الخالد من زوايا تحليلية جديدة، لا تسعى إلى مجرّد التفسير، بل إلى تفكيك البنية العميقة للخطاب، والكشف عن آلياته التواصليّة، واستراتيجياته الحجاجية، ومستوياته التداولية.

لقد وفّرت المناهج اللسانية، بدءًا من البنيوية إلى التداولية والبراغماتية، أدواتٍ دقيقة لتحليل اللغة في سياقها، كما أتاح النقد الحديث — بمختلف اتجاهاته البنيوية والتفكيكية والسيميائية — إمكانات واسعة لفهم الخطاب القرآني بوصفه نظامًا متكاملًا من العلامات، لا ينفصل فيه الشكل عن المعنى، ولا التركيب عن الوظيفة.

وفي هذا السياق، تأتي هذه الدراسة لتضيء تفاعل المناهج اللسانية والنقدية مع النص القرآني، مركّزة على أثر هذه المقاربات في إعادة قراءة الخطاب الإلهي ضمن أطرٍ تحليلية تجمع بين الدقّة العلمية وجمالية التذوق، وتسعى إلى تأسيس وعي معرفي جديد يتجاوز القراءة التقليدية نحو فهمٍ يتماهى مع روح العصر دون أن يغادر قدسيّة النص.

ففي رحاب النصّ القرآني، تتجلّى اللغة في أبهى صورها، لا بوصفها أداة تعبير فحسب، بل بوصفها كيانًا حيًّا ينبض بالمعنى، ويتجاوز المألوف نحو ما هو معجز في بنائه، ومدهش في دلالته، وعميق في أبعاده البلاغية والحجاجية والتأويلية. وقد ظلّ هذا النصُّ المقدّس على امتداد القرون حاضنًا لأسئلة الفكر، ومثيرًا لاشتغال العقل، ومنبعًا لا ينضب من الرؤى الجمالية والمعرفية.

ومع اتّساع آفاق الدراسات اللغوية وتحوّلات النظرية النقدية المعاصرة، بدأت تظهر مقاربات جديدة تتعاطى مع الخطاب القرآني بوصفه نصًّا يتجاوز حدود التقديس إلى فضاء التحليل العلمي، دون أن تُخِلّ بجلاله أو تنال من سموّه. فقد جاءت اللسانيات الحديثة، بمناهجها المتعددة من البنيوية إلى التداولية، لتُعيد النظر في طبيعة اللغة، وتفكك بنيتها، وتكشف عن علاقتها بالمقاصد والسياقات. وكذلك فعل النقد الأدبي الحديث، الذي تجاوز القراءة الانطباعية نحو مقاربات سيميائية وتفكيكية وتداولية تُنقّب في المعنى العميق، وتُضيء البنية الخطابية، وتُفكّك رمزية الدال والمدلول.

إنّ الخطاب القرآني ليس مجرّد نصّ يُقرأ، بل هو خطابٌ يُنجز أفعالًا لغوية، ويُفعّل آليات التأثير، ويوجّه المتلقّي نحو فعل الإيمان والتفكّر والتأمّل. من هنا، فإنّ استدعاء المناهج اللسانية والنقدية الحديثة لا يأتي من باب التجريب الأكاديمي، بل من الحاجة إلى أدوات قادرة على مقاربة هذا الخطاب بتعدديته البنيوية، وتراكبه الدلالي، وانفتاحه التأويلي.

في هذا الإطار، تسعى هذه الدراسة إلى مساءلة الخطاب القرآني من خلال مرايا اللسانيات والنقد الحديث، بوصفها مرايا لا تعكس ظاهر النصّ فقط، بل تغوص في عمقه، وتُضيء أبعاده الخفية، وتعيد رسم خريطته المعرفية. إنها مقاربة تحليلية معاصرة، تتخذ من أدوات العصر منطلقًا لفهم النص، دون أن تفصلها عن جذورها التراثية، أو تُلقي بها في دائرة الاستلاب المفاهيمي.

إنّ هذه الدراسة لا تنطلق من رؤية اختزالية تختزل النص القرآني في بُعده اللغوي فحسب، بل تنظر إليه كخطاب كلّي تتشابك فيه مستويات متعددة: الصوتية، والتركيبية، والدلالية، والحجاجية، والرمزية، حيث تتجلّى عبقرية البيان الإلهي في قدرة النص على مخاطبة العقل والروح والوجدان معًا. ومن هذا المنطلق، فإنّ الخطاب القرآني يُستدعى إلى دائرة النقد والتحليل بوصفه خطابًا فاعلًا، مشحونًا بالدلالات، موجهًا للفكر، موقظًا للضمير، ومؤسِّسًا لرؤية وجودية تتجاوز الظاهر إلى ما هو أعمق.

في ضوء ذلك، تسعى هذه الدراسة إلى استثمار آليات المناهج اللسانية – ولا سيما البنيوية والسيميائية والتداولية – جنبًا إلى جنب مع أدوات النقد الأدبي الحديث، لتقديم قراءة تحليلية تتجاوز التفسير السطحي إلى تفكيك المعمار اللغوي للنص، والكشف عن وظائفه التواصلية ومقاصده البلاغية، وآلياته في بناء المعنى وتوجيه المتلقي. كما تحرص على إبراز كيفية تفاعل هذه المناهج مع خصوصية النص القرآني، والتحديات التي تفرضها قدسيّته من جهة، وغِنى تعبيره وتعدّد مستوياته من جهة أخرى.

وهكذا، فإنّ هذه المقاربة لا تهدف إلى "تحليل الخطاب" فحسب، بل إلى الإسهام في تجديد آليات فهمه، وتوسيع أفق تأويله، من خلال استنطاق أدوات العصر دون القطيعة مع إرثنا التفسيري العميق، بل في حوارٍ خلّاقٍ معه، يُغني ولا يُقصي، ويُكمّل ولا يُلغِي.

لقد شهدت الدراسات اللغوية والنقدية خلال القرن العشرين تحوّلات عميقة في المنهج والرؤية، تمثّلت في انتقالها من النظر إلى اللغة كنظام قواعدي مغلق إلى اعتبارها بنية دلالية حية تُنتج المعنى داخل سياق تواصلي مفتوح. وقد أسهمت البنيوية، ثم ما بعدها من مناهج تداولية وسيميائية، في صياغة أدوات دقيقة لتحليل الخطاب، عبر التركيز على العلاقة بين البنية والدلالة، والمتكلم والمخاطَب، والنص وسياقه.

وفي سياق هذه التحوّلات، بدأ الخطاب القرآني يُقرأ من منظور جديد، لا ينفي عنه قدسيّته، بل يعمّق فهمه من خلال تفعيل أدوات التحليل اللساني والنقدي، باعتبارها وسائل للكشف عن طاقاته التعبيرية، واستراتيجياته البلاغية، وبنيته الخطابية المركّبة. كما أفرز هذا التوجّه تساؤلات متعدّدة حول مدى إمكانية إخضاع النص القرآني لهذه المناهج، وكيفية التعامل مع خصوصيته النصية والدينية في ضوء مناهج نشأت في سياقات مغايرة.

المنهج

يعتمد البحث على منهج وصفي تحليلي، يقوم برصد الاتجاهات اللسانية والنقدية المعاصرة، ويطبّقها على نماذج مختارة من الخطاب القرآني، كما يُوظّف آليات المقاربة التداولية والسيميائية والنقد البنيوي في تحليل النصوص، ضمن رؤية تكاملية تنفتح على التراث التفسيري دون أن تغلق أبواب الاجتهاد المعرفي المعاصر.

وإذ تضع هذه الدراسة نصب عينيها تحقيق التوازن بين قداسة النص القرآني وصرامة التحليل العلمي، فإنها تتوخّى أن تكون لبنة معرفية تضيء جانبًا من جمالية الخطاب الإلهي من خلال عدسة اللسانيات والنقد الحديث، لا لتفكك قدسيته، بل لتكشف عن عبقريته التعبيرية، وتنوّعه البِنائي، وثرائه الدلالي. فهي دعوة إلى قراءة واعية، تتجاوز التلقين إلى التفاعل، وتتخطّى التفسير التقليدي إلى التأويل القائم على أدوات العصر.

ومن هنا، فإن هذا البحث يُشكّل محاولة علمية متواضعة لإعادة قراءة الخطاب القرآني بوصفه نصًا مفتوحًا على تعدّد القراءات، وغنيًا بما يكفي لأن يظلّ قابلًا للحوار مع كلّ منهج، وكلّ عقل يُنشد الفهم والجمال والحقيقة.

البحث والمناقشة

المحور الأول: البنية الأسلوبية في الخطاب القرآني من منظور لساني

يمثّل الأسلوب أحد المداخل الأساسية لتحليل الخطاب، ولا سيّما الخطاب القرآني، الذي يزخر بأنماط تعبيرية متعددة تعكس تنوّعًا في البنية اللغوية وتفاوتًا في المقاصد البلاغية والتواصلية. وتُعدّ المقاربة اللسانية الأسلوبية مدخلًا فعّالًا لفهم هذا التنوّع وتحليل أثره في المتلقي.

لقد قدّم الخطاب القرآني أنماطًا أسلوبية متنوّعة تراوحت بين الأمر والنهي، والخبر والاستفهام، والتكرار والتقديم والتأخير، بما يخدم مقاصد النص الإقناعية والجمالية والتأثيرية. ومن أهم ملامح هذه البنية الأسلوبية ما يأتي:

١. التكرار بوصفه أداة إيقاعية ودلالية

يُعدّ التكرار من أبرز السمات الأسلوبية في القرآن الكريم، وقد وظِّف لغايات دلالية وجمالية وتربوية، منها التوكيد، والترسيخ في الذهن، واستثارة الانتباه. يقول تعالى:

"فبأي آلاء ربكما تكذبان"

[الرحمن: ١٣]

وقد تكررت هذه الآية في سورة الرحمن (٣١ مرة)، مما يعكس مقصدًا بلاغيًا يتمثل في إثارة الوعي، وترسيخ الامتنان، وإقامة الحجة على الإنسان والجان.

وقد رأى عبد القاهر الجرجاني أن التكرار يُكسب المعنى طاقةً إيحائيةً إضافية لا تحققها العبارة المفردة (١). وهو ما يتوافق مع ما يؤكده "جان كوهين" في دراسته للأسلوب الشعري من أنّ التكرار يُحدث انزياحًا عن اللغة العادية، فيخلق بعدًا جماليًا ودلاليًا في آن (٢).

٢. الانزياح الأسلوبي (العدول عن المألوف)

من سمات الخطاب القرآني انزياحه عن المتوقّع في البنية النحوية أو الأسلوبية، ما يضفي على النص بعدًا تأويليًا عميقًا. مثال ذلك:

"وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا" [الفجر: ٢٢]

فقد عدل النص عن التعبير المعتاد: "وجاء أمر ربك" إلى "وجاء ربك"، وهو انزياح يقصد الإعلاء من شأن الحدث، وتصوير الموقف الكوني تصويرًا مهيبًا يفوق الإدراك العادي. يقول مصطفى

صادق الرافعي: "إنّ القرآن ينقل المتخيّل إلى مشهود، والغيب إلى محسوس، بلغة تضجّ بالدهشة والرؤية" (٣).

٣. التقديم والتأخير بوصفه أداة دلالية

يتجلّى في الخطاب القرآني توظيف دقيق لآلية التقديم والتأخير، بما يعكس ترتيبًا بلاغيًا يخدم المعنى. من ذلك: "إياك نعبد وإياك نستعين" [الفاتحة: ٥]

فقد تقدّم "إياك نعبد" على "إياك نستعين"، لتأكيد مبدأ التوحيد والإخلاص في العبادة، وجعل الاستعانة بالله تالية للعبودية، وهو ترتيب دلالي يتجاوز البنية النحوية إلى مغزى عقدي عميق.

ويعلّق فاضل السامرائي على ذلك قائلًا: "لو قُدّمت الاستعانة على العبادة، لأوحت بأنّ العبادة لا تقوم إلا بعد العون، بينما الترتيب القرآني يُؤسس لمعنى العبودية القائمة بذاتها، ثم يأتي العون تأكيدًا لا تأسيسًا" (٤).

٤. التحويل بين ضمائر الخطاب (الالتفات)

من الخصائص الأسلوبية القرآنية التحويل بين الضمائر، وهو ما يُعرف بالالتفات. مثال:

"حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف" [يونس: ٢٢]

بدأت الآية بالخطاب المباشر: "كنتم"، ثم تحوّلت إلى الغائب: "بهم". وهذا التحوّل المفاجئ يحدث انزياحًا يُشعر المتلقي بالبعد عن الرحمة حين يقع الغرق، ويُجسّد الغفلة والنسيان من جانبهم.

وقد عدّه السكاكي من أساليب البلاغة التي تُحدث أثرًا نفسيًا لدى المتلقي، وتُنشّط انتباهه وتُحرّك وجدانه (٥).

إنّ تحليل البنية الأسلوبية للخطاب القرآني من خلال أدوات اللسانيات يُبرز عمق التوظيف البلاغي والدلالي، ويكشف عن طاقات النص التعبيرية التي تتجاوز الجمال الشكلي إلى التأثير

النفسي والمعرفي. كما يؤكد على أن النص القرآني ليس فقط مجالًا للقراءة الإيمانية، بل فضاء غنيًّا للتحليل اللغوي الحديث الذي يُنير كثيرًا من أسراره وجمالياته.

المحور الثاني: المقاربة التداولية للخطاب القرآني: تحليل المقاصد وسياقات التواصل

تُعد التداولية فرعًا من اللسانيات الحديثة يُعنى بدراسة المعنى في ضوء السياق، أي بما يتجاوز دلالة اللفظ إلى دلالة الاستعمال، وما تقتضيه مواقف التخاطب من مقاصد وتفاعلات بين المتكلّم والمخاطَب. وفي هذا الإطار، يقدّم الخطاب القرآني نموذجًا غنيًا لتطبيق مبادئ التداولية، لما فيه من تعدّد في المقاصد، وتنوّع في الأساليب، وثراء في السياقات.

وقد تناولت التداولية مفاهيم أساسية مثل "الفعل الكلامي"، و"الافتراض المسبق"، و"المقصدية"، و"الملاءمة"، وهي أدوات يمكن تسخيرها لفهم دقيق للنص القرآني من حيث بنيته التواصلية وطرائق التأثير فيه.

١. الفعل الكلامي في الخطاب القرآني

يندرج الخطاب القرآني ضمن ما يُعرف في التداولية بـ"الأفعال الكلامية" (Speech Acts)، وهي تلك الأفعال التي لا تقتصر على الإخبار، بل تُحدث تأثيرًا في الواقع أو في المتلقي. وقد صنّف أوستن وسيرل الأفعال الكلامية إلى أنواع، من أبرزها: الأفعال التمثيلية، والتوجيهية، والوعدية، والتعبيرية، والإنجازية (١).

مثال توجيهي:

"وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة" [البقرة: ٤٣]

هنا نجد فعلًا كلاميًا توجيهيًا direct directive speech act، يُراد به الأمر بأداء الصلاة والزكاة. وهو فعل لا يكتفي بنقل معلومة، بل يسعى إلى حمل المخاطب على إنجاز فعل معين.

مثال تعبيري:

"ولا تمدّنّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجًا منهم زهرة الحياة الدنيا"[طه: ١٣١]

الخطاب هنا يعبّر عن موقف نفسي يوجّه النبي إلى الزهد، ويتضمّن دلالة شعورية ذات بعد تعبيري، يُصنَّف ضمن الأفعال التعبيرية expressive acts، التي تُظهر مشاعر المتكلّم تجاه حالة ما.

٢. المقصدية وسياق الخطاب

يولي علم التداولية أهمية خاصة للمقصدية ((Intentionبوصفها العامل المحدِّد لفهم الخطاب، وهي تبرز في القرآن الكريم في مواضع متعددة حيث تتغير البنية حسب ما يقتضيه المقام.

مثال:

"قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون"[الكافرون: ١—٢]

الخطاب هنا يحمل مقصدًا واضحًا من التباين العقائدي والتفريق الحاسم بين طريقين. فالصيغة "قل" تؤكد على الخطاب المباشر، وعلى مقصد الإنذار، ويعبّر السياق عن بيان نهائي يقطع العلاقة التعبدية بين الفريقين.

يعلّق بول غرايس ((Paul Griceعلى مثل هذه المقاصد بضرورة استحضار مبدأ التعاون (،(Cooperative Principleحيث يجب أن يُفهم القول في ضوء النية، لا مجرد ظاهره

٣. التداولية وسياق التهديد والوعد

يبرز البعد التداولي في الخطاب القرآني في سياقات التحذير والوعد، وهي أفعال كلامية مركّبة ذات مقصد مزدوج: ترغيب وترهيب، تأديب وتعليم.

مثال للترهيب:

"إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارًا"[النساء: ٥٦]

الفعل الكلامي هنا إنجازي (،(Perlocutionary actيؤثّر في نفس المخاطَب ترهيبًا وتحذيرًا، ويُعبّر عن عاقبة الكفر لا كمعلومة بل كتحذير ضمنيّ.

مثال للترغيب:

"إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا"[الكهف: ١٠٧]

الخطاب يُؤسّس فعلًا كلاميًا يحمِل وعدًا ويُحدث في المخاطَب شعورًا بالطمأنينة والأمل، وهو أحد أهم أهداف التداولية في القرآن.

تُبيّن المقاربة التداولية للخطاب القرآني أنّ النصّ لا يُمكن قراءته قراءةً جامدة، بل هو فعل تواصلي حيّ، يتغيّر وفق المقام والمخاطب والهدف. وهذه الديناميكية التداولية تمنح القرآن طاقته التأثيرية المتجددة في كل عصر، وتفتح المجال أمام قراءات جديدة تعيد كشف أبعاده البيانية والمعرفية.

المحور الثالث: البنية الحجاجية في الخطاب القرآني بين البلاغة والتداولية

تُعدّ الحجاجية من أبرز الآليات التي اعتمدها الخطاب القرآني في بناء المعنى وتوجيه الفكر، وهي تتجاوز البعد الإخباري إلى بعد إقناعي، يُسهم في ترسيخ العقيدة، وتثبيت القيم، ودحض الشبهات. وقد استثمر الخطاب القرآني مجموعة من الأساليب البلاغية والوسائل التداولية لإنتاج خطاب حُجّي مقنع ومتفاعل، يخاطب العقل والوجدان في آنٍ واحد.

وتُظهر الدراسات الحديثة تقاطع البلاغة العربية الكلاسيكية مع النظريات التداولية والحجاجية المعاصرة، خاصة مع تصوّرات بيرلمان وتيتيكا حول بناء الحُجّة وتوجيه المخاطب (١).

١. الحجاج بالإقناع والتدرّج المنطقي

يعتمد الخطاب القرآني على أسلوب الإقناع العقلي عبر التدرّج المنطقي، حيث يُقدَّم الدليل في صورة مرتّبة تهيئ المتلقّي لتقبُّل النتائج، ويأتي هذا وفق ما يُعرف بـ"البنية الحجاجية الكبرى" التي تعتمد على الأطروحة، والحجّة، والنتيجة.

مثال:

"أفي الله شك فاطر السماوات والأرض"[إبراهيم: ١٠]

هنا نجد أطروحة حجاجية ذات طابع إنكاري، تفترض وضوح البديهة، وتُخاطب العقل بالمسلّمات. فالسؤال الإنكاري يحمل حجّة ضمنية: كيف يُشكّ في وجود الله وهو الخالق؟ وهو ما يطابق ما يُعرف في التداولية بـ"الافتراض المسبق" ((Presuppositionالذي يُبنى عليه الخطاب الحُجِّي.

٢. الحجاج بالقياس والتمثيل

من أهم الأساليب الحجاجية في القرآن القياس العقلي والتمثيل الحسيّ، وهما يُستخدمان لإحداث أثر عقلي وعاطفي في المتلقّي.

مثال:

"مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا"[العنكبوت: ٤١]

الآية تبني حُجّتها على تمثيل حسيّ قريب من المتلقّي، يصوّر ضعف الشركاء بقياس بياني، ليُوصِل إلى النتيجة: هشاشة معتقداتهم. وهذا النمط من الحجاج قريب مما وصفه بيرلمان بـ"الحجاج بالمقارنة والتمثيل" الذي يعتمد على تقريب المجهول بالمألوف (٢).

٣. الحجاج بنقض الحُجج المضادة (المجادلة)

يواجه القرآن العديد من الاعتراضات والمجادلات، ويُقدّم حُججه عبر نقض شبهات المخالفين، باستراتيجية تفكيك القول ثم بناء بديل أقوى منه.

مثال:

"وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر * وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون"[الجاثية: ٢٤]

الخطاب هنا يُقدّم قول الخصم أولًا، ثم ينقضه بنفي العلم، وتوصيف القول بأنه "ظنّ"، وهو ما يعادل حجاجيًا "النقض بالحقيقة الناقصة". ويعتمد الأسلوب على تقديم خطاب مضاد يقوّض الدعوى بالتحليل العقلاني والنقد المعرفي.

٤. التوكيد الحُجّي: أدواته ووظيفته

وظّف الخطاب القرآني عددًا من أدوات التوكيد الحُجّي مثل: "إنّ"، "قد"، "لا ريب"، "ألا"، لما لها من أثر في تقوية الحُجّة وزيادة يقين المخاطب.

مثال:

"ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين"[البقرة: ٢]

إن نفي "الريب" هنا هو استراتيجية خطابية حُجّيّة تهدف إلى إبطال الشكّ قبل وقوعه، وهي ما تُعرف تداوليًا بـ"الاستباق الحُجّي" (Anticipatory Argumentation)، أي تقديم يقين قبل أن يُطرح التشكيك.

إن البنية الحجاجية في الخطاب القرآني تُظهر تلاقيًا فريدًا بين بلاغة الإقناع ومناهج الحجاج العقلي، حيث يتداخل الجمالي بالمنطقي، والتأثيري بالتأصيلي. وقد نجح النص القرآني في تقديم نماذج رفيعة من الحجاج التداولي الذي يربط القول بالسياق، ويستثمر قدرات اللغة لتثبيت القيم والحقائق.

الخلاصة

تتجلّى في الخطاب القرآني طاقة لغوية فريدة، تتجاوز حدود النمط البلاغي التقليدي، لتبلغ تخوم الدهشة والعمق التأويلي، بفضل تداخله مع البنى اللسانية الحديثة، وانفتاحه على آفاق النقد المعاصر. لقد أبرزت هذه الدراسة كيف استطاع النص القرآني أن يؤسس جمالياته الخاصة، من خلال توظيفه المبدع للأدوات اللسانية كالتكرار، والحذف، والالتفات، والتوازي، وكيف استطاع أن يُفعّل الأسلوب بوصفه بُعدًا دلاليًا لا شكليًا فقط.

ومن خلال مقاربة تحليلية واعية، اتضح أنّ اللسانيات الحديثة، على تعدد مدارسها (البنيوية، التداولية، الأسلوبية)، تمنح الباحث مفاتيح جديدة لقراءة الخطاب القرآني قراءةً تتكامل فيها المعرفة اللغوية والذوق الجمالي، بعيدًا عن الجمود التفسيري أو الاختزال البلاغي.

كما كشفت الدراسة أنّ الخطاب القرآني لا يُقارب بوصفه نصًا مغلقًا أو مكتفيًا بذاته، بل بوصفه فضاءً دلاليًا متجددًا، يمتلك آليات التوليد الذاتي للمعنى، مما يجعله قابلًا للتفاعل مع كل أدوات النقد المعاصر دون أن يفقد طبيعته القدسية أو رسالته التوحيدية.

إنّ هذه المقاربة لا تدّعي الإحاطة التامة بجماليات الخطاب القرآني، بل هي محاولة لفتح أفق حواري جديد بين النص القرآني والمنجز النقدي اللساني الحديث، عسى أن تفضي هذه المقاربة إلى وعي نقدي معاصر يُنصت إلى النصّ في ضوء العلم، دون أن يغفل نوره الربّاني وسحره الجمالي.

References

١. الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. تحقيق محمد رشيد رضا. بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٤.

٢. الزركشي، بدر الدين. البرهان في علوم القرآن. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣.

٣. السامرائي، فاضل صالح. التعبير القرآني: دراسة تحليلية بلاغية. عمان: دار عمار، ٢٠١١.

٤. الشايب، عبد الفتاح. البلاغة وتحليل الخطاب. بيروت: دار النهضة العربية، ٢٠٠٩.

٥. القصبي، ناصر. البلاغة الجديدة وتحليل النص القرآني. الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠١٥.

٦. الكليدار، صالح عبد العزيز. التحليل الأسلوبي في الدراسات القرآنية. بغداد: مكتبة النهضة، ٢٠١٦.

٧. اللغوي، حسن حمزة. التحليل البنيوي للخطاب. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات، ٢٠٠٢.

٨. محمد، علي محمد. التداولية وتحليل الخطاب. القاهرة: عالم الكتب، ٢٠١٣.

٩. مراد، توفيق. اللسانيات وتحليل الخطاب الأدبي. الجزائر: دار هومة، ٢٠١٨.

١٠. يوسف، عبد الرحمن. في تحليل الخطاب القرآني. بيروت: مركز نماء للدراسات، ٢٠١٩.

١١. يوسف، عبد القادر. مدخل إلى علم اللغة الحديث. القاهرة: دار الكتاب المصري، ٢٠٠١.

١٢. فضل، صلاح. علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٨.

١٣. صليبا، جورج. اللغة والتحليل البنيوي. بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠١.

١٤. سعيد، محمد عبد السلام. اللسانيات وتحليل الخطاب. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ٢٠١٢.

١٥. فرحان، عبد الله. مقاربات في التداولية وتحليل النص. تونس: منشورات كلية الآداب، ٢٠١٨.

١٦. الخولي، أمين. منهج تجديدي في تفسير القرآن. القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٧.

المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية

1. Fairclough, Norman. Critical Discourse Analysis: The Critical Study of Language. London: Longman, 1995.

2. Gee, James Paul. An Introduction to Discourse Analysis: Theory and Method. London: Routledge, 2014.

3. Halliday, M. A. K., and Hasan, Ruqaiya. Cohesion in English. London: Longman, 1976.

4. van Dijk, Teun A. Discourse and Context: A Sociocognitive Approach. Cambridge: Cambridge University Press, 2008.

5. Verschueren, Jef. Understanding Pragmatics. London: Arnold, 1999.